حياة برادة - بوستة

نزهة على شاطئ النهر بين الصخب والهدوء

مناجاة مع غيثة بناني - بن بركة

حياة برادة - بوستة

نزهة على شاطئ النهر بين الصخب والهدوء

معك أنت صديقتي، رفيقتي وبلسم جراحي

الترجمة :عبد الكريم أوشاشا

26 يونيو 2025

"الحقيقة، على الرغم من كونها مؤلمة،
أفضل من عدم اليقين".

ورسون ويلس

معك أنت صديقتي، قبل أن نلتقي

ولدت في تاريخ يتأرجح بين 1932 و1935، طبعا في فترة استعمارية حيث كانت تواريخ الميلاد غير دقيقة ومتباينة؛ رأيت النور في هذه المدينة العتيقة الواقعة على ضفتي واد أبي رقراق والمحيط الأطلسي. إنها المدينة التي كانت مقرا للمقيم العام آنذاك الجنرال ليوطي الذي جعلها بعد معاهدة فاس في 30 مارس 1912 عاصمة للحماية الفرنسية.

"حماية" سرعان ما تحولت إلى نهج استعماري على جميع المستويات رغم بعض التحذيرات التي أطلقها ليوطي نفسه: " *يجب ألا يغيب عن ناظرنا، أننا في بلد أحفاد حقيقيين لابن خلدون الذي وصل إلى مدينة فاس وهو في العشرين من عمره، وأحفاد ابن رشد... ما زلنا لا نعرف ما يكفي عن المنازل العتيقة في فاس والرباط ومراكش التي كانت تأوي الرجال الذين جلعوا منها ملاذا للقراءة والفكر والبحث* ". وفي هذه المدينة، الرباط، رغب ليوطي أن يوارى جثمانه الثرى، وسيتم دفنه هناك عند وفاته في ضريح، وعلى شاهد قبره يمكن أن نقرأ باللغة عربية: " *كلما عشت في المغرب أكثر، زادت قناعتي بعظمة هذا البلد* " ، ولم يتم إرجاع رفاته إلى بلاده ودفنه بالمقبرة العسكرية (les Invalides) بباريس، إلا بعد مرور وقت طويل.

عندما استمعت إلى **بشير**، يوم تشييعك إلى مثواك الأخير في (Thiais)، علمت أن أسلافك كانوا شخصيات وازنة ومحترمة طبعت الحياة الروحية والقانونية لمدينة الرباط، مثل عمك أبوبكر الذي ترك «*مكتبة عامرة وكتب قصائد وكلمات أغاني تكريما لملحمة عبد الكريم الخطابي*». لماذا لم تحدثيني عن هذا من قبل؟ كم أنت متكتمة؟

كنت أتمنى الحصول عليها ومشاركتها على موقع *مغرب الوقائع* في قسم عبد الكريم الخطابي! على الرغم من أنني أشك في قدرتي على قراءتها بسبب الصعوبات التي أوجهها أمام اللغة العربية.

«لا يوجد في هذه الدنيا حق للأمم أقدس وأرسخ من حقها في أن تحكم نفسها بنفسها» هذه برقية[1] أرسلها الخطابي ردا على الدعوة التي تلقاها من جمعية طلابية *تجديد بونيس آيرس*، وذلك قبل منفاه في جزيرة ريونيون (Ile de la Réunion) سنة 1926، أي منذ قرن من الزمان.

أنظري اليوم كيف يتردد صدى هذه الكلمات في آذاننا، في زمن الاجتياح والغصب والاحتلال مثلما يجري الآن في فلسطين المحتلة. إن المقاومة الفلسطينية تقدم دروسا للإنسانية جمعاء عبر مقاومتها النموذجية رغم الإبادة الجماعية التي ترتكبها دولة إسرائيل.

اقترنت وأنت يافعة مع ذلك الذي ولد هو أيضا في المدينة العتيقة بالرباط، وكان يشاهد بأم عينه حالات الظلم والتهميش. ألم تكن هذه هي البذور الأولى لانتفاضته ضد الظلم الاجتماعي وحرمان أبناء الشعب من التعليم والتربية، الذي هو نفسه أحرمه الاستعمار منه، لأنه لا يمكن تسجيل سوى طفل واحد في العائلة المتواضعة، فكان يسترق السمع من أبواب المدرسة، عندما كان يرافق أخاه الأكبر وينتظره حتى نهاية الفصل. وفي آخر المطاف منحته المؤسسة حق الحضور إلى الدرس.

---

[1] - برقية نشرت بجريدة «Vie Ouvrière » - 2 أكتوبر 1925
https://www.maroc-realites.com/document/273

وقد أدى كفاحه من أجل التحرر الحقيقي من الدولة الاستعمارية الفرنسية إلى تفرض عليه هذه الأخيرة الإقامة الجبرية في جبال الأطلس المتوسط، بعدها إلى الأطلس الكبير، وإميلشيل ثم تالسينت في فبراير 1951، للحد من نشاطه وعزله عن العالم الخارجي.

كنت من أجل زيارته، تتجشمين وعثاء السفر يومين متتاليين للوصول إليه والبقاء معه بضع ساعات فقط. وعندما تصلين إليه، يتم تفتيش ما تحملين له، بحثا عن ما يمكن أن تخفيه، لقد كان من الصعب أن تحضري له حقا ما يريد. وقد صرحت أثناء مقابلتك مع بريجيت مارتينيز[2] بأنه «*لا ينقصه أي شيء هناك، لأنه كان يحظى باحترام كبير، وقد أحبوه كثيرا*» .

علمت لاحقا، بأنه قد واصل بإميلشيل نضاله ضد الأمية: بتلقين الحراس دروسا في القراءة والكتابة، وفي نفس الوقت قام بتعلّم الأمازيغية.

بالنسبة له كانت التربية والتعليم مسألة حيوية وأساسية. وبعيدا عن التحصيل الجامعي، فإن الأمر يتعلق بالتربية والتعليم الشعبي. وقد حث في ندوة فكرية أقيمت بتمليلين قرب مدينة أزرو على انتشال الشعب من براثن الجهل، أراد أن يشارك هذا التعطش للتعلم، فشجع النساء والرجال على القيام بذلك.

---

[2] - Brigitte Martinez, *j'ai deux amours, Portraits d'exil*, 1998. https://www.france-terre-asile.org/images/stories/evenementiel/40-ans/jai-deux-amours/articles-en-pdf/ben-barka.pdf

ربما لاحظت كل هذا، خاصة عندما تمكّنت سنة 1952 من الحصول على تصريح إقامة معه لمدة 3 أشهر. اعترفت لي يوما، بأنها كانت من أجمل الفترات التي عشتها. وهي أيضا فترة لتقريب وجهات النظر بينكما. هل تبنيت قناعاته؟ لقد كان مسارك دائما، على مستوى هذه القناعات. وكما ذكرت ابنتك خلال المقابلة السالفة الذكر مع بريجيت مارتينيز سنة 1998: «*هذه هي الفترة التي تمّ الحمل بي*». وهكذا ستولد الابنة فوز، ووالدها لا يزال منفيا في الجنوب.

شاركتني شقيقتك زهرة مؤخرا "طرفة" عن ولادة التوأم سعد ومنصور بعد الاستقلال.

لقد ولدا في المستشفى وليس في المنزل كما كان يحدث في كثير من الأحيان، كان زوجك في اجتماع، وعندما زفوا له خبر ولادة الطفل الأول، رد: «*سأنهي اجتماعي وبعدها سأذهب إلى المستشفى*». ولكن عندما علم بولادة الطفل الثاني، أنهى اجتماعه على الفور ليلتحق بك.

منذ الأيام الأولى للاستقلال، حصلت على رخصة القيادة؛ بسبب المسؤوليات السياسية للمهدي بن بركة، لقد أردت أن تعتني بأطفالك بنفسك، وبابنة وابن أختك اللذان فقدا والدتهما، أختك **حبيبة**، باكرا قبل الأوان. لقد أصبحا طفليك وأنت أمهما أيضا.

لكن حكم الإعدام الذي صدر غيابيا في حقه سنة 1964، والمضايقات المختلفة التي تعرضت لها من جانب السلطات التي أغلقت باب منزلك، أجبرتك على مغادرة وطنك مع أطفالك الستة. كان عليك الالتحاق بالمهدي في القاهرة. لكن كيف ذلك؟ هل سيمنعونك من مغادرة المغرب؟ ما هي الوسيلة للمغادرة دون لفت الانتباه؟ كان من الضروري الادعاء بوجود مشاكل صحية تبررها تذاكر الذهاب والإياب بالطائرة.

قبل الوصول إلى القاهرة، ستذهبين مع عائلتك الصغيرة بأكملها إلى **باريس**، ثم **برلين**. **برلين** حيث يقيم صهرك **عبد القادر**، والد بهيجة وخالد.

إنها بهيجة هي التي أخبرتني مؤخرا، على أنها أخذت على عاتقها، كما أشار عليها والدها، مسؤولية الاتصالات اللازمة طوال هذه الرحلة، والتي لم تكن خالية من المخاطر، وكان عمرها لا يتجاوز 12 سنة في ذلك الوقت.

ها أنتم مجتمعون كلكم في القاهرة، إنها خطواتك الأولى وأنت في المنفى غريبة عن وطنك، ومسقط رأسك. إن المنفى له تأثير على الروح المعنوية بسبب الانفصال عن الجذور.

مغادرة بلدك للعيش في القاهرة دون أن تعرفي متى يمكنك العودة. عندما أطالع من جديد المقابلة التي أجريتها أنت وابنتك فوز مع Brigitte Martinez سنة 1998، تحتفظين بذكريات صوتية عن «*منبهات معدنية على صوت المهراز(الهاون)، وهي*

المدقة التي تستعملها النساء لسحق التوابل: الكمون والزعفران، وقشور القرفة، وبذور الكزبرة والثوم».

القاهرة... مدينتك الأولى في المنفى، تم استقبالك من طرف جمال عبد الناصر استقبالا جيدا، كنت تذكرين لي ذلك كثيرا، عندما نكون نتحدث عن السلطة في مصر وحرب الايام الستة...كنت تحملين له الكثير من التقدير، لكنك لا توافقني الرأي عن بعض من مواقفه؛ لكن مما لا شك فيه أنه كان يتمتع بشرعية ومصداقية لدى الشعب المصري. وما انفكت شرعيته هذه تترسخ وشعبيته تتنامى أكثر حتى وهو يخرج من حرب الأيام الستة مهزوما، أكثر من ذلك الذي انتصر فيها في أكتوبر 1973، وأعني به أنور السادات.

القاهرة ...خطواتك الأولى وأنت في المنفى غريبة عن وطنك، وبعيدة عن مسقط رأسك، لكنه أيضا الرجاء في رؤية عائلتك ملتئمة. مغادرة وطنك للعيش في القاهرة دون أن تعرفي متى ستعودين .أن تغيري من أسلوب حياتك، وتلتحقين برفيق حياتك ووالد أطفالك بحيث لن ترينه إلا نادرا.

وكبر أطفالك في هذه المدينة الغارقة في التاريخ.

هل كنت تعتقدين إذن، أن في هذه المدينة الجميلة المليئة بالحكايات التي هي القاهرة، ستقل مخاوفك على زوجك، ومعها ذلك القلق الذي لم يبرحك منذ زواجكما، هل القاهرة هي

ذلك المكان الذي سترين فيه القليل من الضوء؟ هنيهات من السعادة عابرة، سريعة الزوال إلى حد كبير .

بفضل طاقته الخلاقة المتأججة استطاع المهدي بن بركة، شريكك الغائب في كثير من الأحيان، أن يضفي بعدا دوليا لنضاله من خلال انخراطه في معركة وحدة الشعوب؛ بذلك استطاع تجسير الهوة بين الصين والاتحاد السوفياتي، وأن يجتمع بجيفارا وبن بلا وفيدل كاسترو وتيتو...

حتى وهو منفيا، أصبح على رأس اللائحة، المطلوب رقم واحد، ليس للنظام المغربي فقط، بل وحتى للإمبريالية الأمريكية والفرنسية، بينما إسرائيل التي كانت في علاقة غير رسمية مع الحكم المغربي، قامت بالتحالف مع الامبريالية مباشرة بعد الخطاب الذي ألقاه المهدي بن بركة في القاهرة شهر أبريل من سنة 1964، أي قبل ستة أشهر من اختطافه، يفضح فيه الدور الذي تلعبه إسرائيل في إفريقيا ومشروعها الصهيوني، والذي استطاع اتحاد الشعوب مواجهة كل مخططاته. لكن باختطاف واغتيال المهدي بن بركة في جريمة دولة شنيعة،

كنت في القاهرة عندما جاءك خبر اختفاء شريكك، وكان شقيقك **عثمان** أكبر مساندیك في تلك الظروف الحالكة، هل تذكرين تدخله كممثل لمنظمة تضامن الشعوب الأفرو أسيوية (O.S.P.A.A.) في الذكرى الأربعين لاختفاء شريكك: «سأحاول *أن أقدم لمحة موجزة لعمل يستند على سلسلة من الشهادات التي عشتها عندما عملت إلى جانب المهدي بن بركة كممثل له في*

السكرتارية الدائمة لمنظمة الشعوب الأفرو أسيوية في القاهرة من 1963 إلى 29 أكتوبر 1965 ».

لقد أخبرتك ذات يوم، عندما كنت عائدة من المغرب، أنني حظيت بشرف لقائه في الرباط، وكان ذلك في العقد الأول من هذه الألفية الثانية. لقد كان مرشدي السياحي في الرباط. مدينته التي يعرفها جيدا.

لقد أنعش ذاكرتي عن عبد الكريم الخطابي الذي كتب عنه أطروحة والعديد من الكتابات. ولقد وافته المنية يوم 29 يونيو 2016، هذا المؤرخ الكبير، الذي كرّس حياته للدفاع عن حقوق الإنسان والعدالة والديمقراطية.

والتحقت به يوم 26 يونيو 2024. إن التواضع وروح العدالة التي يتمتع بها هي التي ستبقى مطبوعة في ذاكرتنا.

عزيزتي غيثة، كم كنت امرأة ذات شجاعة وكرامة،

لم تستسلمي قط من أجل معرفة الحقيقة. الحقيقة الكاملة حول اختفاء شريكك ووالد أطفالك. وهذا ما قمت به بصلابة وأنفة.

قبل استئناف المحاكمة في شهر أبريل من سنة 1967، وبعد الاطلاع على عناصر جديدة في قضية شريكك، وعلى وجه التحديد «*احتمال تعاون أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية في التحضير وربما في تنفيذ عملية اختطاف زوجي*». وفي مارس من

نفس السنة، أرسلت رسالة[3] إلى رئيس محكمة الجنايات لنهر السين السيد **بيريز** تطلبين منه تأجيل الجلسة: «*عائلتي وأنا أول من يأمل أن يتم الحكم في القضية في أقرب وقت ممكن، لكن يجب علينا أن نكون قادرين أيضا على المساهمة في الكشف عن الحقيقة، والنضال في ظل ظروف عادية ضد قطيع من المجرمين وشركائهم*».

هذه من بعض اللحظات وعن بعض المعطيات التي تحدثت معي عنها قليلا وتمكّنت من استحضار القليل منها من بعض الكتابات.

إنها أوقات لم أكن أعرفك فيها أو أعرف شريكك، لم يكن لدي سوى نتف من المعرفة عنه. ولم ابدأ في الاهتمام بمساره إلا اعتبارا من سنة 1968، ولكن بشكل خاص بكتاباته ومداخلاته.

[3] - https://www.maroc-realites.com/document/284

لقائي معك- ماي 1975

"التقيت بالصداقة، ومنذ ذلك اليوم
وهي تسير دائماً إلى جانبي" .

من مصر أتيت لتستقري في منفى طويل بفرنسا، في باريس. هذا هو المكان الذي ألتقيت بك فيه لأول مرة. هذه هي لحظاتنا الأولى في اختيارنا الثوري. وبعد نشر ندائنا الأول في فاتح ماي، ابتعدنا عن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بعد مؤتمره الاستثنائي في شهر يناير. فقررنا بعد ذلك إصدار مجلة شهرية باللغة العربية تحت عنوان "*الاختيار الثوري*" استلهاما من كتاب المهدي بن بركة الذي يحتوي على عدد كبير من كتاباته الذي أصدرته دار ماسبيرو.

قبلها أردنا أن نلتقي بك، وقد تمّ تكليفي بإخبارك عن صدور العدد القادم من هذه المجلة،

هل تذكرين؟ التقينا في مقهى بباريس بحضور أختك زهرة التي جاءت من المغرب. لقد كانت المرة الأولى التي رأيتك فيها. هل كنت لا تتجاوزين الثلاثين من عمرك، كما قلت لنفسي؟ يبدو لي.

وعندما أخبرتك بذلك، حكيت لي عن ما وقع لك في يوم من الأيام. ذهبت إلى دار السينما في مصر أو باريس مع ابنك. لقد سمحوا لبشير بالدخول، بينما طلبوا منك بطاقة هويتك حتى يتأكدوا بأنك تبلغين 18 سنة.

وأنا أتمعّن فيك وأنت تحكين عن ذلك بعفوية، أذهلتني حقا نظراتك الصادقة وابتسامتك الهادئة. لقد جعلني هذا أشعر بأبعاد هذه السيدة التي أنت عليها والتي تبنّت قناعات ذلك الذي سيتم اغتياله سنة 1965 وأنت بالكاد تبلغين 30 سنة من عمرك.

- *"إن إصدار هذه المجلة بهذا العنوان الواعد، هو تكريم للمهدي، أتمنى لها كل النجاح"*. قلت لي ذلك، تعاطفا معنا.

وها تحن الثلاثة، منغمسون في تبادل الأسئلة والضحكات من الأعماق التي قربتنا من بعضنا البعض.

في ذلك اليوم، تأكدت من أنني التقيت بصديقة مخلصة وحكيمة عركتها السنون.. ويا له من تواضع!

صدر العدد الأول من مجلة "*الاختيار الثوري*" في دجنبر 1975، تكريما للمهدي بن بركة، مستحضرا مواقف المقالات المختلفة الواردة في كتاب *"الاختيار الثوري في المغرب"* .

واستمر هذا المنشور ما يقرب من 10 سنوات.

التقينا في *إيفري*[4]، بالقرب من باريس حيث كنا نقطن أيضا. كنا بجانبك أيضا، وكانت شقيقتك خديجة حاضرة، إذا لم أكن مخطئة، إنه اليوم الذي كان فيه شقيقك عثمان على متن الطائرة المخطوفة، أذكر أنني حينها لاحظت على محياك قلقا عبّرت عنه بأنفة وتكتم.

لقد قضينا لحظات ممتعة في منزلنا في مونتروي[5] في زياراتك التي تقومين بها أحيانا بعد الظهر بصحبة والدا زوجي. وطبعا في منزلك عندما كنت تقطنين بالدائرة العاشرة.

مع مرور الأعوام أصبحت هذه الصداقة أقوى. عندما رحل شريكي عبد الغني، كنت الأولى التي أعلنت لك الخبر بشكل عفوي، صباح يوم 21 شتنبر 1998.

عندما قمنا يوما، معا بزيارة لقبر عبد الغني، حدثتك عن تساؤلات أثارها البعض حول اختيار مكان دفنه، ولومهم لي لأنني لم أقم بدفنه في بلده المغرب. بالنسبة لي الأمر غير وارد، خاصة أننا عشنا قبل ولادة أطفالنا بوقت طويل في شارع غامبيتا (Gambetta) قابل مقبرة Père Lachaise مكان دفنه، في *«هذه المقبرة حيث يحكم الزمن بشكل مطلق*[6]*»*.

في ذلك اليوم؛ وعلى قبره سألتك:" في نظرك هل ما قمت به هو فعلا ما كان يتمناه؟"

---

[4] - Ivry

[5] - Montreuil

[6] - "*Cimetière où le temps règne en Maître*":

أجبتني: *" حياة، لقد رحل، إن ما تتمنين أن تقومي به هو الذي يجب أن تفكري به "*

إن هذه الكلمات التي نبست بها بهدوء واهتمام هي التي سأتذكرها دائما حتى اليوم، فيما أنت ترحلين عنا يوم 26 يونيو 2024. طمأنتني كلماتك، هذه العناية التي أحطتني بها هي بمثابة "حماية" لي.

رجعنا إلى الوطن سنة 1994، بعد خطاب العفو الذي ألقاه الحسن الثاني. بينما أنت التي أمضيت أكثر من ثلاثين سنة من المنفى، لم ترغبي في العودة إلى المغرب إلا بعد وفاة الحسن الثاني يوليوز 1999.

أتذكر ذلك اليوم، 23 يوليوز 1999، قضيت فترة ما بعد الظهر في منزلك محاطة بشقيقك وأبنائك وأحفادك. لقد كان هذا اليوم يصادف عيد ميلاد حفيدتك. بعد ذلك قفلت راجعة إلى منزلي، فسمعت في الراديو خبر أن الحسن الثاني قد توفي للتو. وقد كان شيراك دعاه في وقت سابق لحضور الاستعراض العسكري ل 14 يوليوز، رمز الثورة الفرنسية وإلغاء النظام الملكي.

كنت لوحدي، وكان أطفالي في عطلة خارج باريس.

وكان رد فعلي الأول، هو الاتصال بك هاتفيا في ذكرى كل الراحلين الأعزاء الذين كانوا يناضلون من أجل دولة الحق.

قلت لي: "*ارجعي، لنتحدث عن هذا الأمر*" وأردفت: " *لكن لا تخاطري باستعمال سيارتك وأنت في هذه الحالة يمكن أن*

تتعرضي لحادثة سير، استقلي سيارة أجرة ". وهذا ما فعلته بالفعل. كان لقاء لا ينسى مع عائلتك.

وفي وقت متأخر من الليل، طلبت من ابنك **سعد** أن يرافقني*" وأن لا تعود حتى تدخل إلى منزلها، اصطحبها حتى الباب "*. بالطبع ابتسمت عندما رأيت مدى المبالغة التي كنت تتحدثين بها.

ولكن لحسن الحظ رافقني ابنك حتى الباب الذي لم أستطع فتحه. لقد تركت مفاتيحي بالداخل. كان عليه مرافقتي إلى مركز الشرطة. وكنا محظوظين لوجود بعض رجال الشرطة الذين قالوا لنا: "*هل لديكم أشعة سينية"* ؟ لم أفهم. "*أفلام التصوير بالأشعة السينية"* . أجبت:*"لا، إنها في المنزل" ." إذن انتظرونا أمام مدخله، سنحصل عليها بأنفسنا من المستشفى"* .

وهذا ما كان، التحقوا بنا واستخدموا تلك الأشعة لفتح الباب في أقل من دقيقة. قالوا لنا ضاحكين:" *نحن نعرف حيّل اللصوص"* .

لم يسبق لي أن شكرت أو صافحت شرطيا من قبل، كما فعلت في ذلك اليوم.

في تلك السنة ستعودين إلى أرض وطنك، بعد أن عانيت أكثر من 35 عاما من المنفى، وذلك ليس بسبب الانتماء السياسي فقط، ولكن أيضا بسبب أنك آمنت بأن هذا النضال سيفضي حتما إلى تحقيق الكرامة الانسانية. ولأن بينك وبين الحسن الثاني جثة (الغائب الحاضر) شريكك.

وبعد ذلك بسنوات انتقلت إلى *نانت* (*Nantes*) بعيدا عن باريس.

في يوم من الأيام عندما أتيت لرؤيتي في نانت، ذهبنا إلى بورنيك (Pornic) هذه المدينة الساحلية على المحيط الأطلسي. بينما كنا نسير على طول الساحل بالقرب من السفن السياحية وقبل الوصول إلى الشاطئ، أخبرتني بجميع أسماء أفراد عائلتك. لكن عندما لاحظت أنني شاردة بعض الشيء. فسألتني عن ما علق في ذهني، وعندما رأيتني أخلط بين الأسماء، أخذت ذراعي، وبنوع من العتاب قلت: "*خلاص أحياه*".

ومع ذلك بذلت جهدا جهيدا وأنا أقطب حاجبي للتركيز، والاستماع إلى سردية شجرة عائلتك وخاصة العلاقات الأسرية: بناني، بنبركة، بنونة، شرقاوي.. كوكبة قائمة بذاتها. لكنني وجدت أنه من المدهش أنك تمكنت من إخباري بهذه السردية العائلية دون أي تحفظ، والتي أؤكد لك أنها بدت لي من أجل استحضارها معقدة للغاية.

عندما كنت آتي إلى باريس من أجل مداخلاتي حول التنوع الثقافي، كنت أمدد إقامتي عندك.

لا أزال أراك وأنت على أريكتك تقرأين بالعربية صحيفة *الاتحاد الاشتراكي*. قرأتَ لي بعضَ المقاطع، وتبادلنا وجهات النظر.

لقد عبرت لك عن خيبة أملي بكل هذه الانتماءات للمخزن، وسياسته على تعميق الانقسام الاجتماعي والظلم وطبيعته القمعية

كنت أشاركك بعضا من شكوكي حول بعض المسلكيات التي أعتبرها أنانية، والمواقف الملتبسة بعلاقات القوة والهيمنة ...في صفوف الحركة التقدمية التي تناضل من أجل الديمقراطية، *ليس الديمقراطية المؤسساتية* التي هي بالتأكيد مهمة، *بل ثقافة الديمقراطية* ... التي لا غنى عنها في اختياراتنا من أجل المساواة والكرامة الانسانية.

عندما كنت ترينني وقد استبدت بي سورة الغضب والقلق من كل تلك الأحداث التي أنشغل بها. تهدئين من روعي بنبرة قريبة للانتقاد والمؤاخذة.

وأعترف أنه على الرغم من نصائحك المستنيرة لا زلت غير قادرة على السيطرة على غضبي. ولكن... أنا بالتأكيد لا أملك حكمتك، وأتمنى أن تتجسد هذه الحكمة بالنسبة لي بشكل مختلف.

هل تتذكرين احتفالات نهاية السنة، وأنت محاطة بأطفالك وأحفادك، هل تتذكرين الضحكات والقهقهات مع منصور الذي وصل قادما من سويسرا؟ وتبادل أطراف الحديث مع شقيقك علي، الذي كان دائما إلى جانبك. وضحكات ابنتك فوز التي أنا دائما معجبة بشجاعتها. فعندما تواجهني بعض الصعوبات في التعامل مع بعض الظروف، أفكر فيها، في صبرها الذي يميزها. وفي قدرتها على تجاوز عثرات الحياة. سعدتُ يومًا ما عندما أرتني الحديقة المشتركة التي تساهم فيها. ضحكتها رسالة حياة.

وتلك الأطباق المختلفة التي كان يتشارك فيها الجميع أحيانا. والأوقات التي أغسل فيها الأطباق. ذات مرة قلت لك بأن منشفة المطبخ مبللة، فأجبت: *"طرشها"*! لم أفهم ماذا تريدين مني أن أفعل. وعندما رأيتني مترددة، أعدت كلمتك:"*طرشها"* بالنسبة لي هذه الكلمة هي *" اصفعها"*. هذا ما كنا نقوله داخل عائلتي. عندما أخبرتك، وقلت لي، بأننا لا نتحدث العربية جيدا. الخ *"لا، أنت التي جلبت لنا لهجتك العربية المصرية* " قلت لك. *"لا، هذا ما نقوله في الرباط* " أجبت... وتبع ذلك مبارزة للآراء بين الرباطيين والفاسيين... خرجت فيها منتصرة.

لقد كانت رؤيتكم جميعا بمثابة نسمة من الهواء النقي الذي أتنفسه "دون اعتدال".

حتى عندما تكونين غائبة عن بعض المناسبات تكريما لشريك حياتك، تكون بصماتك حاضرة.

لا زلت أتذكر يوم 31 أكتوبر 2008 في الرباط، بقيت في باريس، بينما أقيم معرضا فنيا تكريما للمهدي بن بركة بالأوداية.

الذاكرة، العاطفة، الذكرى والغياب خطت برهافة الفن، الإحساس ومشاركة الأفكار والقناعات من أجل الحقيقة والعدالة، بالنسبة لي، تجسدين هذا كله، بكل تواضع ودون ادعاء.
هذا القران بين السياسة والفن هو الذي يمنح للمقاومة مكانها المناسب في الذاكرة الخالدة.

لقد كان المهدي بكل تأكيد حاضرا كما في مناسبات أخرى عديدة، لكن لوحة الفنانة الفلسطينية رنا بشارة التي تواجه علامة الاستفهام بعد تاريخ ميلاد شريكك، هذه التي ترمز إلى غياب الحقيقة، هي التي رأيتك من خلالها طوال تلك الأمسية التي لم تحضريها. إن علامة الاستفهام هذه، التي تنتظر دائمًا إجابة على السؤال "*أين هو*؟"، هي رمز البحث عن الحقيقة... الحقيقة كلها.

إن إصرارك وإصرار عائلتك على الحقيقة هو الذي ساهم في استمرار هذه الذاكرة.

وذلك اليوم الذي شهدت فيه ارتياحك وأنت تحملين بين يديك اللوحة التذكارية تكريما لزوجك بحضور عمدة باريس آنذاك (Bertrand Delanoë) في الذكرى الأربعين لاختفائه.

أتذكر أنك سمعتك وأنت تناديني: *أين حياة*؟ ماذا جال في ذهنك في تلك اللحظة؟ لقد سمحت لنفسي أن أعتقد بأنه غياب عبد الغني الذي كان يناقش مع عائلتك احتمالات وجود شارع يحمل اسم المهدي بن بركة في باريس وأيضا في (Montreuil).

لقد اقتربت مني، وألححت على أن أرافقك إلى المطعم بحضور ليلى شهيد وشريكها محمد برادة.

بطبيعة الحال، كانت هناك العديد من اللوحات التذكارية:

- منذ عام 1967 في دمشق
- في كوبا، والجزائر،

- والقاهرة حيث سيحمل أحد الشوارع اسمه في "مدينة نصر".
- وفي المغرب أيضا، حيث تحمل مدرسة ثانوية تقنية اسمه في وجدة، وفي الرباط، بالإضافة إلى أحد الشوارع، سيتم ربط اسمه بمركز ثقافي.
- في (Montpellier) حيث يوجد شارع بن بركة بجوار شارع باتريس لومومبا.
- وفي (Gennevilliers) تم افتتاح زقاقا باسمه...

لكن في باريس، بالقرب من مقهى ليب حيث تم اختطافه، بدون شك هو اعتراف بكفاحك وكفاح عائلتك من أجل الحقيقة. لحظة كان لها لون النصر.

عندما انتقلت إلى (Nantes)، قررت أن احصل على مسكن في باريس في وقت لاحق بسبب نشاطي كمديرة مشروع في باريس والمنطقة المحيطة بها. وكي أكون غالبا قرب ابنتي غيثة.

لا أزال أتذكر ردة فعلك عندما تأتين لزيارتي في هذه المساحة البالغة 17 مترا مربعا، والتي تقع بالقرب من منزلك. أعترف بأن هذا الأستوديو الباريسي الصغير كان متهالكا، لكنني رأيت ما يمكنني فعله به. كنت تتفحصين كل زاوية وركن بدهشة قبل أن تقولي لي: " *لكن، يا حياة كيف ستتمكنين من العيش هنا؟* ». وعدت لرؤية مدى تقدم العمل. لا زلت غير قادرة على فهم سبب رغبتي في العيش هنا.

لكن مخاوفك تبددت بعدما أيدت العمل الذي اضطلعت به، كما علمت بأنني أعيش في نانت وليس في هذا الأستوديو.

لقد استمتعت باكتشاف باريس: كنيسة القلب المقدس (Le Sacré Coeur) التي ليست بعيدة عن منزلك. مركز باريس مع الكاتدرائية ومركز بومبيدو...

لقد أراني شقيقك على العديد من الصور مؤخرا. أشكره كثيرا، لأن بحوزتي الكثير من صورك، خاصة الملتقطة من التجمعات والوقفات السنوية، ولكن لا أملك أية صورة تجمعني بك، هل أنا في حاجة إليها؟

لكن هذه الصور اليومية واضحة تظهر أكثر لطفك ونظراتك البعيدة جدا في بعض الأحيان وابتسامتك أيضا.

هذه الصورة تظهرك في نزهة مع منصور الذي كانت ضحكاته الصادقة معدية.

ذكرى ابنه لا يزال صغيرا، الذي كنت أطلق عليه أنا "*شاف*" ثم هو أطلق علي لاحقا "*كمارد*".

ولكن، هل حقا الذاكرة ليست سوى تمثيل يستعرض الماضي...

وبعد ذلك... وبعد ذلك... جاء المرض،

خلال فترة وباء كوفيد. من نافذة شقتك، وأنت متعبة للغاية، لم يكن بوسعك إلا الانضمام إلى أولئك الذين شكروا طاقم التمريض بتصفيقهم على التزامهم تجاه جميع المرضى.

إنهم نفسهم، الذين شكرهم **بشير** في كلمته خلال مراسم جنازتك: «*شكرا لممرضات الرعاية المنزلية، ولجمعيتهم Adiam الذين اعتنوا بها يوميا بكل الرعاية التي تتطلبها حالتها وبعطف لا حدود له.*»

وبعد تفاقم مرضك، كنت في البداية لم تتوقفي في إظهار القرب من الذين يأتون لزيارتك.

عندما أتيت لزيارتك قبل أن يتفاقم المرض. وكان شقيقك علي بجانبك بمراعاة وحسن تقدير. تعرّفت عليّ في بداية الزيارة. ذكّرتك بأنني لا أزال أرتدي في أصبعي الخاتم الذي أهديتني إيّاه، بمناسبة ولادة ابني **أمين** سنة 1977. كنت قد أحضرته معك من مصر. يبدو أنك نسيت هذا. حينها طلبت مني رؤيته. ثم وضعته على أصبعك.

عندما أردت المغادرة، أقر أنني نسيت أنك لا زلت تحملين الخاتم الأثير في أصبعك. لكن علي أمرك بجدية: *" أعيدي لها خاتمها" .*

في تلك اللحظة انضم الأخ والأخت وامتزجا معا في تواطؤهما، في جديتهما، وفي حبهما المشترك.

كان علي أن أكون في المغرب، عندما جاءني خبر رحيلك، هذا الخبر المشؤوم، ومن أول وهلة، تبادر إلى ذهني شبابك وابتسامتك.

وكمحاكاة ساخرة، من المغني جان فيرات[7]، أحب أن أقول لك:

«كان بإمكانك أن تعيشي لفترة أطول قليلاً،
بابتسامتك وهوائك السخي».[8]

وعادت إلي ذكريات اليوم الأول الذي التقينا فيه، وما ألهمتني إياه، من الكلمات الصادقة، من صفائك الذي ساعدني على التغلب وتجاوز بعض اللحظات الصعبة.

وتذكرت أيضا اللحظات من الدموع التي لم نسمح بها أنت ولا أنا لذرفها. ولكن أيضا تلك اللحظات من الضحك التي سمحنا لأنفسنا بإظهارها.

مقاومتك لكل المصاعب هي مثال يحتذى به الجميع،

وأيضا مسعاك والتزامك مدى الحياة من أجل الحقيقة. بعيدا عن الالتزام الحزبي وكل أشكال الالتزامات الأخرى، فإن هذا الالتزام الذي يتسم بالرصانة والتقدير والتواضع، يمنح له معناه الحقيقي. بالنسبة لي الالتزام ضروري يندرج في الدفاع عن الكرامة الإنسانية على المدى الطويل.

---

7 - Jean Ferrat

8 - «*Tu aurais pu vivre encore un peu.*
Avec ton sourire, ton air généreux. »

كنت العمود الفقري لعائلة صامدة في وجه الشدائد والمحن

.إن هذه القضية النبيلة التي كرست وبذلت حياتك من أجلها، قضية كشف الحقيقة وكل الحقيقة بشأن اختطاف واغتيال شريك حياتك. أنت الآن معه، يمكن له أن يكشف لك الحقيقة.

وداعاً صديقتي العزيزة

شكرا لحضورك.

Dans le Haut-Atlas. Mehdi assigné à Résidence, Rhita et leur fils aîné, Bachir
في الأطلس الكبير - المهدي بن بركة في الإقامة الجبرية عليه - غيثه وابنهما الأكبر، بشير

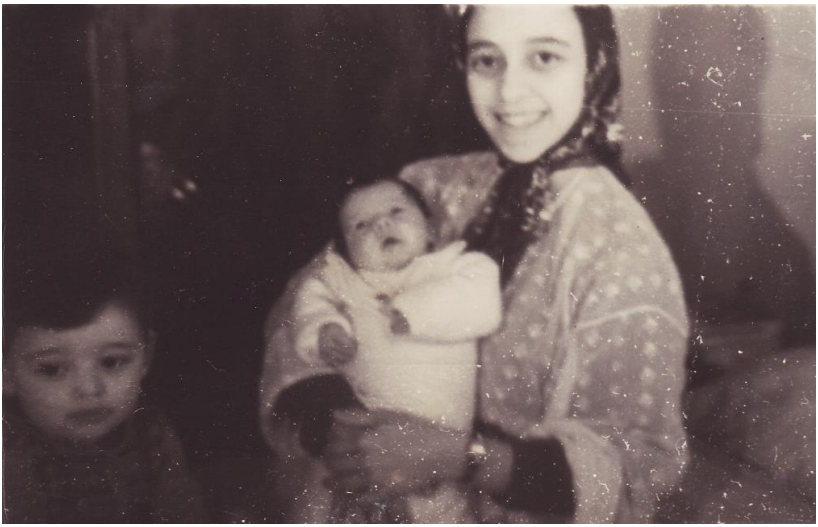

Fawz dans les bras de sa mère au côté de Bachir
فوز بين ذراعيك بجانب بشير

Saad et Mansour. Informé du second bébé, le père avait mis fin à sa réunion pour te rejoindre.

سعد ومنصو. عندما علم بولادة الطفل الثاني، أنهى اجتماعه على الفور ليلتحق بك.

Vous voilà tous rassemblés au Caire en présence de Othmann, ton frère.

العائلة مجتمعة كلها في القاهرة بحضور شقيقك عثمان

En chemin pour le procès de 1967

في الطريق إلى محاكمة عام 1967

Te voilà, en novembre 1967,
à l'inauguration de l'avenue Mehdi Ben Barka à Damas.
ها أنت تقومين في شهر نونبر من سنة 1967،
بتدشين شارع في دمشق يحمل اسم المهدي بن بركة.

Un air de victoire…
أجواء من النصر...

Un air interrogateur et moqueur, un air qui semble dire :
« c'est sûr ? Tu vas y habiter *? »*
نظرة استفهام وسخرية، نظرة كأنها تقول « هل هذا مؤكد*؟* هل ستعيش هنا؟»

En promenade avec Mansour,
dont le rire est contagieux.
نزهة مع منصور الذي كانت ضحكاته الصادقة معدية .

Cette colère que tu exprimes,
toi qui étais si souvent calme.
تظهرك و علامات الغضب بادية عليك،
أنت التي تبقين هادئة في غالب الأحيان

Colère éphémère. Tu reviens assez vite
à ta sérénité et à ton sourire habituels.
لكن هذا الأمر لا يستغرق سوى لحظة غضب عابر،
بعدها تعود أساريرك مبتسمة، وإلى هدوئها المعتاد

De la fenêtre de ton appartement, tu applaudissais le personnel infirmier pour leur engagement auprès de tous les malades, en cette épidémie de COVID.

من نافذة الشقة التي تسكنين فيها، أشدت بطاقم التمريض لالتزامهم تجاه جميع المرضى

L'air lointain. Un regard sur une histoire de vie, sous le bleu du ciel et la limpidité de l'eau.

الهواء البعيد نظرة على قصة حياة،

تحت السماء الزرقاء والمياه الصافية.